مراوغات لا طائل تحتها

لست أدرى على وجه التحديد ماذا يبغى الإنجليز من هذه المراوغات السياسية الممقوتة.

أتراهم يجدون غدًا أو بعد غدٍ من يسلم لهم بما يريدون حمل مصر على قبوله.

أتراهم لو أنه فرض ووجد المصرى الذى يتوسمون فيه الاعتدال والتعقل على حد تعبيراتهم يتوهمون أنَّه يجرؤ على الجهر بما يخالف اتجاه الشعب بأسره.

أتراهم يطمعون فى أن يحطموا أعصابنا بهذه الحلقة المفرغة التى ندور فيها منذ تقابل زعيمنا الخالد سعد مع اللورد ملنر فى لندن سنة 1920.

أيظنون أنَّ نيفا وثلاثين عامًا أو تزيد قد أثرت فى تفكير المصريين أو قلت من عزمهم. أليس أمامهم الدليل الواضح الملموس، على أننا ازددنا وعيًا وتمسكًا بحقوقنا الطبيعية وأننا واجهناهم فى إجماعٍ شاملٍ بإلغاء المعاهدة واتفاقيتى الحكم الثنائى فى السودان.

أليست هناك عبرة فى أنَّ مصر تكتلت كلها ضدهم يوم 8 أكتوبر الماضى، وكانت وزارة الوفد فى الحكم وكان خصومها يحاربونها فى الشئون الداخلية بكل سلاح ويشهرون برجالها وبأنصارها بكل أنواع التشهير لكن هذا كله لم يمنعهم من أن يقفوا معها صفًا واحدًا أمام الإنجليز، فألغيت المعاهدة بالإجماع ووقفت مصر كلا لا يقبل التجزئة تحطم أغلالها وتعلن حقها فى الحرية والحياة.

إنَّ أشد الناس عداوة للوفد لم يتخلف عن هذا الموقف الوطنى الرهيب فماذا ينتظر الإنجليز؟ لا أدرى.

لقد تولى الحكم رفعة على ماهر باشا شهرًا من الزمان إبَّان أزمة من أشد الأزمات فلما حان وقت الكلام مع الإنجليز أدلى ببيانه المعروف، فلم يكن أقل وطنية من مواطنيه السابقين.

ثم ولى الحكم دولة الهلالى باشا ولم تمنعه آراؤه فى الشئون الداخلية من أن يقف موقف التشدد اليوم فيصر فى صلابةٍ على ضرورة إعطائه بيانًا واضحًا بالاعتراف بأهداف البلاد الوطنية قبل كل كلام وكل حديث.

فإذا كان الإنجليز لا يزالون مصرين على موقفهم. ولا يزالون مصممين على فصل السودان عن الوادى ولا يزالون يريدوننا على قبول نوع من الدفاع المشترك فمن فى مصر يطمعون بعد كل هذا فى أن يستمع إليهم أو يحاربهم فيما يذهبون إليه.

ليثق الإنجليز أنَّه لو تداولت الحكم مائة وزارة فى عام واحد، فلن يجدوا رئيس الوزارة الذى يسلم بوجهة نظرهم. إنَّ أحدًا لا يجرؤ على الوقوف الآن أمام إرادة الشعب فليكن ذلك أمرًا مقررًا لديهم وليدركوا قبل فوات الوقت أن مصر لن تلين قناتها لهم.

وليعلموا علم اليقين أنَّ مصطفى النحاس منفردًا أو مصطفى النحاس مجتمعًا مع كل زعيم آخر لا يستطيع أفرادًا ولا جماعات أن يحملوا هذا الشعب على قبول ما دون الأهداف القومية. وأنَّ الشعب الذى يرفع المدافعين عن حقوقه إلى القمة لا يتردد فى أن ينزلهم إلى قرار سحيق إذا هم تهاونوا فى حقوقه أو فكروا فى ذلك.

ففيم إذن هذه المراوغات التى لا طائل تحتها.

وإذا كان الإنجليز يتدللون اليوم فقد يتذللون غدًا. لكننا نكون قد فدنا من هذه

المراوغات بعد أن آمن الكل بأنهم مداورون. حتى الأطفال أدركوا أنَّ الإنجليز خصوم للحرية. خصوم للعدالة. خصوم لكل صداقة، بل إنَّهم خصوم لأنفسهم.

وما دعاواهم القديمة عن الحرية والديمقراطية وحقوق الأمم الصغيرة إلا هباء فى هباء. وكلام لا معنى له وأنهم دون شك قد خدعوا العالم مرتين فى حربين عالميتين. وأنهم علة العلل وسبب النكسة السياسية فى هذا الوجود.

ترى لو أنَّ الألمان أتيح لهم الفوز فى الحربين الماضيتين أكان حال العالم سيكون سرًا مما هو فيه الآن.

ترى لو أنَّ مصر لم تفتح صدرها للإنجليز فى الحرب الأخيرة حتى مكنتهم من الفوز على خصومهم، وكان القدر قد أتى لهؤلاء الخصوم أن ينتصروا هل كانت حال مصر وغيرها من الأمم الصغيرة ستكون أسوأ مما هى الآن.

هل نسى الإنجليز وعودهم لمصر يوم كانوا ينزلقون فى استكانةٍ وذلةٍ.

هل نسى الإنجليز اعترافاتهم بأنَّ مصر كان لها الفضل كل الفضل فى انتصار الدول الديمقراطية.

هل يصل إنكار الجميل إلي هذا الحد.

أتظن الدول الديمقراطية جميعها أنه لو حلَّت بها كارثة غدًا ستجد من مصر ومن الشرق كله بل والغرب العربى أيضًا من ينهض لنصرة قوم أثبتوا بكل وسيلة أنهم استعماريون وأنهم لا يرعون ذمة ولا عهدًا ولا يعترفون بجميل ولا يعرفون الفضل لذويه.

إنَّ مصر كلها فاوضت الإنجليز مرة ومرات بكافة ألوانها وأحزابها وزعمائها، فمن ذهبوا إلى رحمة الله سعد وعدلى ومحمد محمود وإسماعيل صدقى والنقراشى ومن الأحياء مصطفى النحاس وعلى ماهر، وهذا هو نجيب الهلالى قد صبر وصبر

طويلًا ولكن لا حيلة لـه، فالاستعمار هـو الاستعمار. والإصـرار هـو الإصـرار والمداورة هى المداورة. كل ذلك لتضييع الوقت وإرهاق الشعب.

لكن حياة الأمم كما أسلفت لا تقاس بالأيام ولا بـالأعوام. وإرهـاق أعصـاب المصريين أمر غير ميسور. فما ضـرنا نحـن أبنـاء هـذا الجيـل أن نبقـى صـامدين مصممين وأن يتم أبناؤنا ما بدأنا فى سبيل الوطن.

إنَّ مصر لن تموت. وشعبها لن يلين فليفهم ذلـك ساسـة إنجلتـرا هنـا وهنـاك وليفهموه جيدًا.

وإنَّ غدًا لناظره قريب.